أساليب التعذيب داخل السجون والمعتقلات الفرنسية ما بين التعذيب الجسدي والنفسي ضد الجزائريين إبان الثورة التحريرية

Torture methods inside French prisons and detention canters, between physical and psychological torture against Algerians during the liberation revolution

مدربل مصطفى الأمين
جامعة الجيلالي ليابس – سيدي بلعباس
mustaphaaminemederbel@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2024/02/10 تاريخ القبول: 2024/10/21 تاريخ النشر: 2024/12/31

Abstract:

The French colonial era witnessed many barbarisms on its part It has built many facilities for the art of torture, Therefore, we see its construction of dozens of prisons and detention centres instead of schools, universities, hospitals.

These centres have been a cause of mi sery and oppression among the outskirts of the Algerian people and all of this to do one thing, which is to spread its barbarism through torture and abuse Through this research, we tried to address the forms of torture in these centers, in all their forms, physical, psychological.

This is to highlight the brutality of the brutal colonialism, which indicates its barbarism, which it spread among the Algerians, even if it tried to soften its image or hide it later and not recognize it.

Keywords: Prisons; detention centers; physical torture; psychological torture; barbarism; Violence; French army; Algerians; liberation revolution; interrogation.

الملخص:

اقترنت حقبة الاستعمار الفرنسي بمظاهر الهمجية حيث شيدت العديد من المنشآت الخاصة بالتفنن في التعذيب، مثل السجون والمعتقلات بدلا من المدارس والجامعات والمستشفيات وغيرها وقد كانت هاته الهياكل سببا للبؤس والقهر بين أفراد الشعب الجزائري ومن خلال بحثنا هذا حاولنا التطرق لأشكال التعذيب في تلك المراكز بكل انواعها من جسدي ونفسي وغيرها لإبراز وحشية الاستعمار الغاشم الدالة على همجيته التي نشرها بين الجزائريين حتى وإن حاول تلطيف صورتها أو اخفائها فيما بعد وعدم اعترافه بها.

الكلمات المفتاحية: السجون؛ المعتقلات؛ التعذيب الجسدي؛ التعذيب النفسي؛ الهمجية؛ العنف؛ الجيش الفرنسي؛ الجزائريين؛ الثورة التحريرية؛ الاستنطاق.

مقدمة:

لقد ارتبط التواجد الاستعماري في الجزائر بالعديد من الممارسات من بينها تلك الجرائم التي مورست ضد الشعب الجزائري. حيث أنه ومنذ وطأة أقدامه أرض الجزائر انتهج سياسة وحشية وهمجية ترتب عنها مجموعة من الجرائم، كما وأنها علمت بأن حربها على الجزائريين كانت حربا جائرة لكن في نظرها هذه الحرب كانت حربا عادلة لأن القوة تحل محل القانون وقد صرح اوساريس في كتابه (مصالح خاصة) وهو يستعرض بطولاته في تعذيب المعتقلين الجزائريين ويقول أنه كان يطبق أوامر الحكومة وبهذا الاعتراف أزال اللثام عن القيم الحضارية التي كانت تدعيها فرنسا. وقد تصاعدت وتيرة العنف والتعذيب وذلك للقضاء على أي رد فعل من طرف الجزائريين خاصة اثناء فترة الثورة، وقد استعملت السلطات الفرنسية سياسة التعذيب بكل أنواعه ولأجل هذا الأمر شيدت العشرات من السجون والمعتقلات ومراكز التعذيب بدلا من المدارس والجامعات والمستشفيات وأماكن الترفيه والتي كانت من نصيب المجتمع الأوروبي ولم يكن من حظ الجزائريين

سوى البؤس بكل أشكاله من أمراض وأوبئة ومجاعات وتشرد وتفكك اجتماعي وجهل وغيرها من الأمور الهمجية التي كانت فرنسا تطبقها في الجزائر وهذا ما جعلها تعتبر من الدول التي تعرضت لأبغض أنواع الاستعمار الأوروبي الحديث وذلك راجع لتعرضها لكل أصناف الاستعمار المعروفة في ذلك الوقت من غزو عسكري ونهب اقتصادي واستعمار استيطاني وغزو فكري وديني وثقافي وغيرها من الأعمال الاستدمارية، ومع اصطدامها بمقاومة جزائرية رافضة للاستعمار حاولت جاهدة القضاء على أي رد فعل وهو الأمر الذي جعلها تنتهج سياسة تعسفية خاصة في مراكز الاعتقال والسجون بقيامها بكل أنواع التعذيب والقمع وهذا كان لمجرد القضاء على حركة التحرر في الجزائر وكما أنه الأسلوب الأمثل للقضاء على الثورة في كامل التراب الوطني ومن هنا نحاول طرح الإشكال فيما تمثلت تلك الأساليب الاستعمارية التعذيبية؟ وكيف أثرت على الجزائريين والثورة؟

إن ممارسة فرنسا للتعذيب في حق الجزائريين لم تكن محدودة أو ناجمة عن تصرفات فردية إنما كانت جزءا من النظام الاستعماري[1] فلقد شيدت فرنسا مراكز التعذيب التابعة للجيش الفرنسي على كل التراب الوطني التي مورست فيها كل أنواع الإجرام والهمجية ضد كل من كان يدخلها دنبهم أنهم كانوا جزائريين.[2]

لقد تضاعفت أعداد تلك السجون والمراكز خاصة المعتقلات وذلك استجابة لفكرة القضاء على أي ثورة أو رد فعل تحرري وللوصول إلى ذلك سُمح للسجانين باللجوء إلى كل أنواع التعذيب من خلال عمليات الاستنطاق والتي كانت تنتهي أغلبها إلى موت السجين سواء اعترف أم لا ليكون عبرة لغيره ولقد هيئ لهاته العملية قواعد وآلات وأمكنة ورجال مختصون بحيث كان

يعتبر نظاما قائما بذاته وجهازا يطبق في كل أقطار الجزائر وكان يتطور يوما بعد يوم وتنافس فيه الجلادون وتفننوا لاختراع وسائل وأنواع جديدة وجهنمية للتعذيب.[3]

1– التعذيب الجسدي:

لقد كان يُشرع في عملية استنطاق المعتقلين بمجرد وصولهم إلى مراكز الاعتقال وتبدأ عملية التعذيب بمجرد إنكار الشخص لتهمته لتستخدم ضده كل الطرق للاعتراف وقد كان السجين يجرد من ثيابه حتى وإن كانت امرأة وفي أماكن شديدة البرودة أمام أنظار السجانين،[4] كما تعددت أساليب التعذيب الجسدي والتي كانت تعتبر في نظر السلطات بمثابة وسائل ضرورية ويجب القيام بها في كل المراكز ومن بينها التعذيب بواسطة الكهرباء هذه الطريقة تعتبر من الطرق القديمة عند الشرطة الفرنسة. فهي من الأساليب الأكثر شيوعا لسهولتها وفعاليتها وقد ظهر هذا النوع في الهند الصينية. وكان يتدرب عليها في مدرسة تكوين الضباط (جان دارك) بسكيكدة،[5] وقد كان المتهم يوصل بنواقل كهربائية في مختلف أطراف جسده ويتعرض للصعق بشحنات كهربائية وهو مكبل اليدين والرجلين وكانت شدة التيار ترتفع عندما يأبى المتهم الاعتراف وكان يستعمل لهاته العملية مولد كهربائي يعرف باسم الجيجان (GEGENE) به أقطاب كهربائية تسمح بمرور التيار،[6] كما كان الشخص يربط من رجليه على سلم وهو يتدلى على رأسه ويدخل في صهريج من الماء ويوضع فيه أسلاك كهربائية ليكون تأثير الكهرباء أكبر باعتبار الماء ناقل للكهرباء، ولقد كانوا يربطون المساجين بأسرة حديدية ويمررون التيار الكهربائي العالي بها وكان التعذيب بواسطة الكهرباء يصل إلى حد عض الشخص لسانه حتى يتمزق أو يخرج الدخان من فمه أو دخوله في غيبوبة وقد لا يفيق نهائيا. كما كان يصيبهم ارتجاج في المخ يؤدي إلى الجنون أو فقدان الذاكرة كما كان يترك علامات كالحروق على الجسم نظرا لشدة التيار الكهربائي ونتيجة

هاته العملية راح الكثير من المساجين بفعل التيار الكهربائي،[5] وقد استخدم الجنود الفرنسيون الماء للتعذيب حيث يعتبر من الوسائل القديمة للاستنطاق وذات المفعول السريع. وقد اكتشفوا طرق عديدة للتعذيب بالماء مثل إدخال رأس السجين في حوض من الماء المبني من الاسمنت والآجر والمملوء بالماء والذي يكون في أغلب الأحيان قَدرًا مع نزع ملابسه في وسط البرودة الشديدة،[6] كما كانوا يضعون السجين في وضعية معينة ويفتحون فمه ويضعون فيه كميات كبيرة من الماء حتى تنتفخ معدته ويقوم الحراس بالضغط على معدته ليخرج الماء من جميع انحاء جسمه،[7] بالإضافة لذلك كان السجين يرش بالماء الساخن وبعدها بالماء البارد ويوضع في حوض ماء مغلي وعند وضع السجين به يصل لدرجة الحرق.[8] وقد كان أيضا يعلق السجين من قدميه فوق مغطس ويربط بعجلة فينزلونه ليبقى غارقا لعدة دقائق ثم يرفع من جديد وتكرر العملية من جديد حتى يعترف السجين،[9] ضف إلى ذلك انتهج سياسة التعذيب بواسطة النار هذا النوع من التعذيب ليس مثله نوع نظرا لقسوته وشدة المعاناة جراءه وقد وصف الذين عذبوا به على أنهم مجانين وفاقدين للشعور والإنسانية،[10] حيث يبدؤون بحرق كل أنحاء الجسم بواسطة السجائر ونفاثات النار وتوضع أيضا أعواد الثقاب المشعولة في أطراف الأصابع لحرق الأظافر مثلها مثل وضع شمعة مشتعلة تحت السيقان والأرجل العارية حتى تذوب وتترك آثارا غائرة. كما حرقوا المساجين بمياه النار، وربط السجين على طاولة ممددا وهو عاري الصدر ويصب فوقه البنزين واشعال النار فيه، أيضا حرق العيون والأجفان وشعر الرأس والأصابع والتعليق فوق النيران المشتعلة والمشي حافيا،[11] ومن أهم طرق التعذيب أيضا كان التعذيب بواسطة الضرب فلقد اختلفت طرق التعذيب بالضرب حسب اختلاف الأشخاص، فكان لكل جندي طريقته والضرب الذي تلقاه المساجين كان ضربا مبرحا بكل الوسائل وفي كل إنحاء الجسم خاصة الوجه والأضلاع بواسطة اللكمات

والعصي وقد كان الجنود يعلقون المساجين ويبدؤون بتوجيه اللكمات لهم والضربات بشتى الوسائل،[12] وقد تفنن الاستعمار في إيجاد طرق مختلفة للتعذيب كالصلب على الأخشاب ووضع السجين على طاولة مليئة بالمسامير لتغرس في بطنه أو ضهره وطرق المسامير في الجمجمة وكسر القارورات الزجاجية وجعل المساجين يجلسون عليها واقتلاع الأسنان وجعل المسجون ككيس ملاكمة معلق في أعلى شجرة وجعلهم يجتوون على ركبهم لساعات طويلة دون حركة، وغرس القضبان الحديدية في أماكن عديدة من الجسم،[13] والذفن أحياء وقد كان المتهم يحفر قبره بنفسه ويدفن فيها ويبقى رأسه في الخارج لعدة أيام.

وكانت تتم هذه الطريقة بطريقة فردية أو جماعية، واستعمل الاستعمار أيضا الكلاب للتعذيب حيث أنهم قاموا بتدريب فصيلة خاصة من الكلاب للتنكيل بالمساجين، وكانوا يفرشون الأرض بالزجاج المكسور والحصى الغليظة، ويرغمون المساجين بالجري عليها حفاة والكلاب تلاحقهم، وإرغام المساجين على أكل فضالاتهم أو يتبولون في أكلهم كما أمروهم أيضا بأكل المواد الكيماوية وسجنهم في أماكن مغلقة بها غازات سامة جراء القنابل الدخانية والغازات السامة.[14]

هذه بعض الأساليب الوحشية التي تحملها الشعب الجزائري والذي توفي جل من عانى من ويلات هذا النوع من التعذيب والذي كان ينجوا إما كان يصفى بالقتل أو يعدون كمفقودين وقد كان التخلص من المساجين هو الطريقة الأفضل للجلادين لتغطية تلك الجرائم الوحشية، بالإضافة لذلك فقد لجأت الجهات الأمنية المكلفة بالتعذيب بانتهاج طريقة أخرى للتعذيب وهي طريقة التعذيب النفسي.

2– التعذيب النفسي:

إلى جانب طريقة التعذيب البدني كان هناك نوع آخر من طرق التعذيب التي انتهجها الاستعمار هو التعذيب النفسي أو المعنوي، وكان الغرض منه النيل من المسجون وجعله ينهار نفسيا فيصبح متعاونا مع السجانين وصولا إلى تحوله إلى عميل داخل المعتقل وخارجه خاصة إذا كان صاحب شخصية ضعيفة، أما اللذين يقاومون فكانت نهايتهم الموت أو التصفية أو الجنون. ومن بين الأساليب النفسية التي عمل بها الفرنسيين داخل السجون والمعتقلات كان بداية من استقبال الوافدين الجدد بالصراخ والوعيد والتهديد لزرع الرعب والخوف في نفوسهم وسبهم وشتمهم يوميا،[15] وسجنهم داخل زنزانات ضيقة حتى أن السجين لا يمكن أن يتمدد داخلها. كما قاموا بمداهمات للزنزانات في منتصف الليل لحرمانهم من النوم واجبارهم على الوقوف لساعات وتركهم عندما ينال منهم التعب كما كانوا يؤمرون بالوقوف والاستعداد لأي كان لمدة طويلة وكانت هاته المدة تصل أحيانا لأيام بل ولأسابيع من طلوع الفجر إلى غروب الشمس في الحر الشديد أو البرد القارص. كما تم تكليفهم بالأعمال الشاقة والدنيئة كتنظيف المراحيض وإفراغ الفضلات.[16] كما أنهم جعلوهم يقومون بأعمال مخلة بالحياء مع بعضهم أحياننا، وكانوا أيضا يقومون بإجبار المساجين على حضور جلسات التعذيب للمساجين الآخرين وإخبارهم أن هذا ما ينتظرهم كما وكانوا يقيدونهم مع الجثث لبث الخوف والتقهقر في نفوسهم،[17] وكان يتم إخبارهم بأنه سيتم إعدامهم عما قريب بدون ذكر الوقت بالضبط ليأتي السجان ويدخل المفتاح في القفل ليظن السجين أن وقته حان ثم يقفل الباب ويغادر وهو يضحك وأحيانا يأخذونه للمقصلة لتجربة مكان الإعدام ويرجعونه، كما كان المساجين يعذبون أمام أهاليهم أو العكس وذلك للتأثير عليهم وأيضا إحضار الزوجة وتهديد السجين باغتصابها جماعيا إذا لم يتكلم كما وأنهم قدموا

مساومات مع أهل المعتقل خاصة من النساء بقيامهم بأعمال تسوؤه وذلك مقابل إطلاق صراحه أو التخفيف من العذاب عليه،[18] وقد عملوا أيضا على الاتصال بزوجات المعتقلين عن طريق الفرق الإدارية المتخصصة وإخبارهم أن الزوج يرفض الخروج ويأمرها بإعادة الزواج ويخبرون الزوج أن زوجته طلبت الطلاق ليبقى السجين بين نارين خيانة القضية أو ترك عائلته وهذا ما ادخلهم في أزمات نفسية، كما قاموا بتحبيب الحياة الاجتماعية لهم وترغيبهم فيها خاصة مع الأهل والأقارب وربط ذلك مع التعاون مع فرنسا، بالإضافة لمنح رخص خروج مؤقت لبعض المعتقلين أو إبعادهم عن الأنظار وعند عودتهم يتعرضون للمقاطعة ظنا من زملائهم أنهم يعملون كعملاء داخل السجن أو خارجه، كما كانوا يعيدون المعتقلين السابقين ويهددونهم بإعادة الكرة معه إذا لم يتعاونوا ويصبحوا عملاء لهم،[19] قيام العملاء بتناول الطعام والمأكولات أمام السجين الذي يتضور جوعا، وقد ألزموهم على سب الدين وإجبارهم على الكفر والقيام بأعمال لا تمت بصلة للذين الاسلامي، كما وعملوا على نشر الشائعات في السجن لإضعاف إرادة المعتقلين مثل أن الثورة فشلت أو أنهم قبضوا على فلان أو قتلوا فلان، كما اعتمدوا أيضا على علماء للنفس متخرجين من مدارس خاصة بالتعذيب وكانوا يتظاهرون بالتواضع والبساطة والليونة والبشاشة ويمتازون بالخطابة وفن الكلام وقوة التأثير وذلك سعيا منهم لتحويل الخصم إلى حليف[20] ومحاولة إخبارهم وإقناعهم أن فرنسا جاءت للجزائر من أجل تحريرها والقضاء على الجهل ونشر العلم والحضارة والتمدن وامتداح السلوكيات التي تشجع على الحزبية أو الطائفية والجهوية داخل السجون، بالإضافة لمخادعة السجناء بإعطائهم السلام والأمان ومحاولة إقناعهم بأنهم كانوا مخطئين ويجب عليهم العودة إلى الصواب، والتظاهر بالكرم والمعاملة الحسنة وتبجيل السجناء ومحاولة التشويش عليهم في معلوماتهم ومعتقداتهم وإثارة الشكوك والفتن بين المساجين خاصة بين العرب والبربر

وأصحاب الثقافة الفرنسية والثقافة العربية كل هذا في إطار ما سمي بغسيل الدماغ والذي كان يعتبر وسيلة للتعذيب والقضاء على أإرادة المساجين وزعزعة نفسيتهم.[21]

الخاتمة:

هذه بعض الأساليب التي انتهجها الاستعمار الفرنسي في الجزائر، الدالة على همجيته التي تحملها الشعب الجزائري طوال فترة الاستعمار 132 سنة والذي بدوره تنكر لها ونفاها نفيا مطلقا رغم العديد من الشهادات التي جاءت عن طريق الفاعلين في ذلك الأمر والذين شهدوا صحوة ضمائرهم وانسانياتهم إلا أن هذا يدل على أن العنف والهمجية التي سلطت لم تكن عشوائية بل مدروسة وممنهجة وتعبر عن فلسفة سياسية للدولة الفرنسية التي رخصت لأعوانها القيام بأي شيء في سبيل القضاء على أي رد فعل ضدهم مصنفة أعمالهم ضمن الأعمال البطولية الوطنية، ورغم تعدد الأساليب الوحشية للاستدمار وتخطيه جميع الحدود لم يستطع القضاء على عزيمة الشعب الجزائري وتمسكه بمبادئه ومطالبه وأهدافه.

الهوامش:

1- Paul oussaresses , service spéciaux 1955 -1957, paris: perrin 13, 2001, p. 197.

2- دادة محمد، دور التعذيب في الاستراتيجية الفرنسية خلال الثورة التحريرية الجزائرية 1954 / 1962، الجزائر، دار الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، 2006، ص 53

3- قليل عمار، ملحمة الجزائر الجديدة، المجلد 3، الجزائر، دار البعث، 1991، ص 40

4- محمد الصالح الصديق، كيف تنسى وهذه جرائمهم، الجزائر، دار هومة للنشر والتوزيع، 2012، ص 40

5- بوعلام نجادي، الجلادون 1830 / 1962، الجزائر، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والاشهار، 2007، ص 114

6- رشيد زبير، جرائم فرنسا الاستعمارية في الولاية الرابعة 1956 / 1962، الجزائر، دار الحكمة للنشر، 2010، ص 22

7- يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، المجلد 2، الجزائر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، 2004، ص ص 174 / 175

8- رفائيل برانش، التعذيب وممارسات الجيش الفرنسي أثناء الثورة التحريرية الجزائرية، أمدوكال للنشر والتوزيع، 2010، ص 574

9- محمد الأمين بلغيث، تاريخ الجزائر المعاصر، الجزائر، دار مدني للطباعة والنشر والتوزيع، 2008، ص 210

10- بيير هنري سيمون، التعذيب في الجزائر، بيروت، دار العلم للملايين، 1957، ص 14

11- vidal-naquet pierre, la torture dans la république, paris, 1975, p 26.

12- محمد العربي ولد خليفة، فرنسا والتعذيب في الجزائر (فضائح سياسة التعذيب والجريمة المنظمة)، مجلة المصادر، رقم 05، 2001، ص 159

13- مختار فيلالي، فرنسا وأساليب القمع والتعذيب الوحشي والحرب النفسية ضمن مخطط القضاء على الثورة، مجلة التراث، المجلد 5، 1992، ص 02 .

14- hamid boussellam, quand la france torturait en algérie 20, alger: anep, 2001, p 187.

15- غروي محمد الطاهر، ذكريات المعتقلين، الجزائر، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والاشهار، 1996، ص 17

16- محمد يوسفي، الفضائح التي ارتكبتها الشرطة الاستعمارية الفرنسية، حوليات، رقم 110، عدد 04، 1997، ص 17

17- بزيان سعدي، جرائم فرنسا في الجزائر، الجزائر، دار هومة للنشر والتوزيع، 2002، ص 33

18- henri alleg, La Question, les editions du minuit, paris ,1958, p 55 / 60.

19- بوطمين جودي الأخضر، لمحات من ثورة الجزائر، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1987، ص 157

20- florence beauge , algérie une guerre sans gloire histoire d'une enquète, calman-levy, paris, 2005, p. 300.

21- raphaelle branche , la torture et l'armée pendant la guerre d'algérie 1954 - 1962, gallimard, paris , 2001, p. 32.